والموت أحلى من شهد

٣٢٣- إن القرآن أبانا

جنات تشترى بالعقد

٣٢٤- جنات قيمتها روح

من الحرب لتدفع بالنقد

٣٢٥- والمال ليدفع بالنقد

لله بساحات الجد

٣٢٦- يا أمة طه قد عرفت

دربا لنجد وللمجد

٣٢٧- وأبي أكرمه مولاه

فأنت أبي طالع سعد

٣٢٨- وأنا شبل وأبي ليث

ما الشبل سوى ابن للأسد

٣٢٩- وبإذنِ اللهِ آتي سَيْلُ

ما أَمَّلَ لَيْثٌ مِنْ وَعْدِ

صلاح الدين :

٣٣٠- تمضي لِدِمشقَ ابنِ قَرْرا

الملك الأفضل :

أنا أمضي كَسَحابَةِ رَعْدِ

صلاح الدين :

٣٣١- وأنا بِذِكْرِكَ وأُرْناطِ

أمضي كالسَّيْلِ بلا سَدِّ

المشهد الخامس ،
مجلس شورى صلاح الدين :

صلاح الدين :

٣٣٢ - أَأَعْضاءَ شُورى إِنَّنِي اليَوْمَ أَعْقِدُ
لِمَجْلِسِكُمْ بِالْأَمْرِ حَلًّا جَدِيدا

٣٣٣ - فَأَرْناطُ مَنْ تَأْتِي دَواهُ شُرُورُهُ
يَعُودُ كَما قَدْ كانَ قَبْلُ لَدُودا

٣٣٤ - أَلا إِنَّهُ ذا الوَقْتَ يَنْقُضُ عَهْدَهُ
وَيَقْطَعُ دَرْبَ العابِرِينَ حُدُودا

٣٣٥ - وَمَقْصِدُهُ أَنْ يَمْنَعَ الجَيْشَ ذاهِبًا
إِلى الشّامِ مِنْ مِصْرَ الرَّفِيعَةِ جِيدا

الملك العادل (ملك مصر)

٣٣٦ - أَلا إِنَّما أَرْناطُ رَمْزُ عَداوَةٍ

بِأَهْلِ صَلِيبٍ لَا تَصُونُ عُهُودَا

٣٣٧- وَنَحْنُ قَرِيبًا انْتَصِرْ مِنْ قِتَالِهِ

بِنَحْرٍ وَذَاكَ الْيَوْمُ أَصْبَحَ عِيدَا

٣٣٨- بِمِصْرَ بَنَيْتُ السُّفْنَ فِي الْبَرِّ جَاهِدًا

وَرَكَّبْتُهَا فِي الْبَحْرِ لَاحَ صَدِيدَا

٣٣٩- وَأَرْسَلْتُهَا فِي بَحْرِ أَيْلَةَ إِذْ قَضَتْ

عَلَى سُفْنِهِ مِنْ بَعْدُ أَمَّ صَعِيدَا (١)

الْقَائِدُ لُؤْلُؤٌ:

٣٤٠- وَمِنْ فَضْلِ رَبِّي إِنَّنِي أَنَا لُؤْلُؤٌ

أَقُودُ لِذِي الْأُسْطُولِ ضَمَّ أُسُودَا

٣٤١- قَضَيْنَا عَلَى أُسْطُولِ أَيْلَةَ بَعْدَهُ

قَضَيْنَا عَلَى الْبَاقِي وَكَانَ شَرِيدَا

---

(١) بحر أيلة: البحر الأحمر. الصعيد: البر.

٣٤٢- وَمَنْ غَرَّ مِنْ بَحْرٍ لِبَرٍّ فَإِنَّنَا
عَلَى الْخَيْلِ جُثْنَاهُ فَصَارَ قَدِيدَا

٣٤٣- وَبَعْضُ أُسَارَى الْخَصْمِ قَدْ تَمَّ نَحْرُهُ
بِحَجٍّ وَكُلٌّ كَانَ لَاحَ قَعُودَا

صلاح الدين:

٣٤٤- أَلَا إِنَّمَا أَرْنَاطُ رَمْزُ عَدَاوَةٍ
أَلَا إِنَّمَا أَرْنَاطُ خَانَ عُهُودَا

٣٤٥- بِبَرٍّ وَبَحْرٍ بَاتَ يَقْطَعُ دَرْبَنَا
لِذَا النَّذْرُ مِنِّي أَنْ أَقُصَّ وَرِيدَا

٣٤٦- وَمَنْ أَمَّ بَيْتَ اللهِ يَقْطَعُ دَرْبَهُ
وَيَهْزَأُ بِالْمُخْتَارِ مَاتَ سَعِيدَا

٣٤٧- يَقُولُ كَمَا ذَا لَيْلَتِي نِدَاءَكُمْ

(١) أَمَّ: قَصَدَ.

وأكدت نذرا منه أقطع جيدا

عيسى الهكاري

٣٤٨- ألا إنها أرناط آذى تجارة

وضن بما ناد من حج يكون مهددا

٣٤٩- وليستا يبالي حين يقتل مسلما

ولو قد بدا شيئا كبيرا وأرمدا

٣٥٠- وليستا يبالي قتل أنثى ولو بدت

عجوزا ولو خوها بدا اليوم أدردا

٣٥١- جميح الذي يعنيه أخذ لمالنا

فكيف بمال كان درا وعسجدا

صلاح الدين:

٣٥٢- وقاحة أرناط تفوق حدودها

وما هو ينوي منع مصر أسودها

٣٥٣- وسَدَّ طَرِيقٍ بَيْنَ مِصْرَ وشَامِنا
لَمُؤْذٍ بِأَهْلِينا ومُؤْذٍ بَرِيدَها

٣٥٤- ومِنْ أَجْلِ ذا قَرَّرْتُ أَمْضِي بِسُرْعَةٍ
إِلى كَرَثٍ قَصْدِي أُزِيلُ حُدُودَها

٣٥٥- وشَوْبَكُ أُخْتُ الكَرْكِ كُلٌّ لِلَعْنَةٌ
وكُلٌّ تَرَانِي أَنْ أُقَتِّلَ صِيدَها

الملك العادل :

٣٥٦- أَخِي فِي سَبِيلِ اللهِ تَمْضِي لِشَوْبَكٍ
وكَرْكٍ بِكُلٍّ مِنْهُما الشَّوْكُ تَحْصُدُ

٣٥٧- وتَمْنَعُ بِإِذْنِ اللهِ فِي السَّاحِ كُلَّنا
صُنا النَّفْسَ عَنْ مَقْصُودِها لا تُعَرِّدُ (١)

(١) لا تُعَرِّد: لا تجبن ولا تتراجع.

٣٥٨- وكلٌّ لِرَبِّ العَرْشِ قد باغَ رُوحَهُ

وأسْعَدَنا في كُلِّ خَيْرٍ محمّدُ

٣٥٩- رسولُ الهُدى في ساحَةِ الحَرْبِ سَيِّدٌ

وإنْ قامَ في المِحْرابِ فالأمُّ سَيِّدُ

المشهد السادس.

مجلس حرب صلاح الدين:

صلاح الدين:

٣٦٠- عيسى عزيز الغاب من هكار

اليوم أنت متوج بالغار(١)

٣٦١- إن أتيت اليوم بذكرك الذي

آذى الحجيج وكل عابر دار

٣٦٢- قد كنت لي في الحرب خير مساعد

أنت اليمين وصلت بالبتار

٣٦٣- ولربما قد طفت بالخطار

الرمح وافي زاد بالأشبار

٣٦٤- كل يفر أمامكم من جبنه

(١) الغار: شجر برية دائم الخضرة. كان الرومان يتخذون منه إكليلاً يتوجون به القائد المظفر، والشاعر المفلق.

مَنْ غَرَّ مِنْهُمْ ما أَحَسَّ بِعارِ

٣٦٥ - اللهُ خَصَّكُمُ بِصَوْلَةِ عَنْتَرٍ

كَمّا مَضَى بِالأَبْجَرِ السَّيّارِ

عِيشَتي

٣٦٦ - الحَقُّ أَنَّ العَيْشَ يَمْضِي كُلُّهُ

في ساحَةٍ يَنْحَرْبِ كالإِعْصارِ

٣٦٧ - مِنْ فَضْلِ مَوْلانا جُنُودُ عَدُوِّنا

كانُوا أَبانُوا اليَوْمَ لِلأَدْبارِ

٣٦٨ - ذا طَبْعُهُمْ كَمّا يُسَلُّ مُهَنَّدٌ

ويَرَوْنَ مَنْ قَدصالَ بالخَطّارِ

٣٦٩ - جُنْدُ المَلِيكِ جَمِيعُهُمْ ذُو صَوْلَةٍ

والخَصْمُ كُلُّ كانَ فَرَّ كَفارِ

٣٧٠ - جُنْدُ المَلِيكِ يُطارِدُونَ عَدُوَّهُمْ

وَعَدُوُّهُمْ كَالْحُمْرِ خَوْفَ صَوَارِي

٣٧١- لَحْمُ الْحِمَارِ لَدَى الْغَضَنْفَرِ مُتْعَةٌ

وَكَذَاكَ لَحْمُ الْفَاجِرِ الْكُفَّارِ

صلاح الدين :

٣٧٢- كَانَ الْمُنَى أَنَّا نُطَارِدُ فَلَّهُمْ

حَتَّى تَضُمَّ الْفَلُّ كُلَّ قِفَارِ

٣٧٣- لَكِنَّهُمْ قَدْ فَاجَأُوا أَبْطَالَنَا

بِالْفَرِّ فَوْرًا دُونَمَا إِنْذَارِ

٣٧٤- وَلِأَجْلِ فَرَّةٍ قَدْ تَمَكَّنَ جَمْعُهُمْ

مِنْ عَوْدَةٍ بِالْكَرِّ مِثْلَ قِطَارِ

٣٧٥- فَفِرَارُهُمْ كَانُوا بَدَوْا كَثَعَالِبٍ

وَالْحِصْنُ كَانَ بَدَا كَجُحْرٍ هَارِ

٣٧٦- لَكِنَّ بَابَ الْحِصْنِ كَانَ مُوَثَّقًا

لَمَّا بَدَا رُمْحِي بِهِ كَالنَّارِ

٣٧٧ - مِثْلَ الْقُرُودِ هُمُ بَدَوْا فِي حِصْنِهِمْ

يَتَعَلَّقُونَ بِهِ وَبِالْأَسْوَارِ

عِيسَى :

٣٧٨ - جَرِيًا عَلَى عَادَاتِهِمْ فِي فَرِّهِمْ

الرُّعْبُ مِنْهُمْ مِلْءُ كُلِّ إِزَارِ

٣٧٩ - هُمْ يَقْذِفُونَ حِجَارَةً مِنْ حِصْنِهِمْ

لَكِنَّهَا مِنْ خَلْفِ كُلِّ جِدَارِ

٣٨٠ - تَلْقَى الْحِجَارَةَ قَدْ أَتَتْكَ كَحَاصِبٍ

لَكِنَّ مَنْ يَرْمِي بِلَا إِبْصَارِ

٣٨١ - كُلٌّ مِنَ الْأَحْجَارِ مِثْلُ سِهَامِهِمْ

إِنَّ الْعَمَى فِي الْقَلْبِ وَالْأَبْصَارِ

٣٨٢ - مِنْ فَرْطِ خَوْفٍ ذِي الشَّهَامُ تَتَابَعَتْ

كُلٌّ كَأَعْمَى سِيقَ بِالْمِقْدَارِ

٣٨٣ - وَكَذَا الْحِجَارَةُ إِنَّمَا يُرْمَى بِهَا

مَا دَامَ بُعْدُ الْخَصْمِ بِالْمِقْدَارِ

صلاح الدين :

٣٨٤ - إِنَّا حَرَصْنَا أَنْ نَجِيءَ إِلَيْهِمُ

لَكِنَّ حِصْنَ الشِّرْكِ مِنْ أَطْيَارِ

٣٨٥ - مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لَيَبْعُدُ غَوْرُهُ

وَتَقِلُّ نَاحِيَةٌ مِنَ الْأَخْطَارِ

٣٨٦ - لَمَّا أَتَيْنَاهَا وَجَدْنَا بَيْنَهَا

وَالْحِصْنِ غَوْرَ الْمَلْءِ بِالْأَحْجَارِ

٣٨٧ - لَمَّا أَرَزْنَا مَلْأَهُ بِحِجَارَةٍ

مَا كَانَ ذَا سَهْلًا لِأَجْلِ عَوَارِ (١)

---

(١) عوار : عيب وصعوبة .

٣٨٨ - ذي خُرْصَةٌ كَيْ يَقْذِفُوا بِسِهَامِهِمْ
مَغْمُوسَةٌ فِي السُّمِّ جَنْبَ النَّارِ

٣٨٩ - وَلَقَدْ تَتَابَعَتِ الْجَارَةُ فَوْقَنَا
وَالْمَنْجَنِيقُ لَهُ كَبِيرُ دَمَارِ

عِيسَى :

٣٩٠ - لِمَدَائِنِهِمْ كَانَتْ مُرَاسَلَةٌ لَهُمْ
لِلْخَصْمِ يَأْتِيهِمْ مَعَ الْأَسْحَارِ

٣٩١ - قَدْ جَاءَهُمْ مَدَدٌ يُقَوِّي ظَهْرَهُمْ
وَكَذَا أَتَى لَهُمُ كَثِيرُ تِجَارِ

٣٩٢ - طَالَ الْحِصَارُ لَهُمْ وَهُمْ فِي مَأْمَنٍ
وَسِهَامُهُمْ تَأْتِي تَنَا بِالْقَارِ

٣٩٣ - وَحِجَارَةٌ مِنْهُمْ تَجِيءُ بِكَثْرَةٍ
مِنْ دُونِ مَجْهُودٍ وَلَا أَوْتَارِ

٣٩٤- في سِلْمِهِمْ حَمَلُوا الحِجارَةَ عالِيًا
في حَرْبِهِمْ تَأْتِي كما التِّيّارِ

٣٩٥- وسِراجُهُمْ مَغْمُوسَةٌ بِسُمُومِهِمْ
والنّارِ إنَّ النّارَ ذاتُ شَرارِ

صَلاحُ الدّين:

٣٩٦- طالَ الحِصارُ لَهُمْ وهُمْ بِجُحُورِهِمْ
إنَّ الضِّبابَ تَعِيشُ في الأَجْحارِ(١)

٣٩٧- أَرْنا طُهُمْ أَدْعُوهُ دَوْمًا لِلْوَغَى
لَكِنَّهُ المَدْسُوسُ خَلْفَ سِتارِ

٣٩٨- وتَرُبَّما فاقَتْ لَدَيْهِ وقاحَةً
الوَجْهُ عِنْدَ القِرْدِ كالأَدْبارِ

٣٩٩- نادَى بِأَنّا قابِعُونَ بِجُحْرِنا

(١) ضِباب، جمع ضَبّ. أجحار، جمع جُحْر.

لا نَقْصَ فِي مَاءٍ وَلا أَشْمَارِ

٤٠٠ - وَعَلَيْكُمُ أَنْ تَصْبِرُوا فِي بَرِّكُمْ

حَتَّى نُفَادِيَ الضَّأْنِ وَالأَبْقَارِ

٤٠١ - وَأَنَا أُرَاكُمْ مِنْ ضُنًا أَوْ هُزْلِنَا

إِنِّي أَنَا طَيْرٌ بِلا أَوْكَارِ

عِيسَى:

٤٠٢ - يَا سَيِّدِي أَنْتُمْ طَلَبْتُمْ رَأْيَنَا

أَنُقِيمُ أَمْ نَمْضِي بِشَمْسِ نَهَارِ

٤٠٣ - وَلَقَدْ أَبَنْتُمْ قِصَّتَكُمْ بِحِصَارِكُمْ

أَنْ تَجْذِبُوا أَعْدَاءَنَا لِلْقِفَارِ

٤٠٤ - وَمَجِيئُهُمْ لِلْقَفْرِ بَعْضَ بُعْدِهِمْ

عَنْ شَاطِئٍ وَشُرُورِ كُلِّ بِحَارِ

٤٠٥ - الْعَوْنُ مِنْ بَحْرٍ بِجِرْعُ إِلَيْهِمُ

في هَيْئَةِ الإِنْسانِ والدِّيناري

٤٠٦ - الأَمْرُ شُورَى سَيِّدِي ولِأَجْلِنا

أَمْضَيْتُمُ رَأْيَ الكَثِيرِ يُباري (١)

٤٠٧ قد كانَ هذا رَأْيَكُمْ فأَمَرْتُمُ

بِتَرحِيلِ عِقْبانٍ تُرِيدُ قُمارِي (٢)

صلاح الدين:

٤٠٨ - إِنَّا لَنا في صَدْرِ أَحمدَ أُسْوَةً

في طائِفٍ إِذْ طالَ وَقْتُ حِصارِ (٣)

٤٠٩ - طَةَ يَفُكُّ حِصارَهُ وأَنا كَذا

إِنَّ المُسَيَّرَ يُلْزِمُ المُبارِي

٤١٠ - وكَذا أَفُكُّ حِصارَ شَوْبَكَ إِنَّهُ

---

(١) يباري: يفوز.
(٢) القماري جمع القمرية، ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت.
(٣) قبيلة ثقيف في الطائف

مُؤْذٍ لِمَنْ قد سارَ أَوْ لِلسّارِي

٤١١ - كُلٌّ مِنَ الحِصْنَيْنِ يَبْقَى أَهْلُهُ

مِثْلَ الضِّبابِ وقَدْ غَدَتْ بِإِسارِ

٤١٢ - وإذا تَرَكْتَ الضَّبَّ ظَلَّ بِجُحْرِهِ

وإذا صَبَرْتَ تَجُرُّهُ لِشِفارِ (١)

٤١٣ - إِنْ تَأْنِ يا أَفْضَلِيُّ بِرِسالَةٍ

قَصِدِي أَجُرَّ عَدُوَّنا لِعِثارِ (٢)

(١) شفار، بكسر الشين، جمع شَفْرَة: السيف والسكين والموسى الصغيرة.

(٢) أفضلي: ابنيّ الملك الأفضل. أريد أن أحثّ الأفضل برسالة

الفصل الثاني

المشهد الأول :

الملك الأفضل في خيمته بمركز القيادة في دمشق :

الملك الأفضل :

٤١٤- مُلوكُ بني الإسلامِ أهلاً ومرحباً
بكُمْ في دِمَشْقِ الخيرِ ضمَّتْ أسودَها

٤١٥- مُلوكُ بني الإسلامِ جامعوا بكلِّ مَنْ
يُثيرُ بُروقاً للوغى ورُعودَها

٤١٦- وكلٌّ لِرَبِّ العرشِ قد باعَ نفسَهُ
بجنّاتِ عَدْنٍ حينما شمَّ عودَها

٤١٧- براءةُ فيها صفقةُ البيعِ تمَّتْ
براءةُ كانتْ قد أبانتْ بنودَها (١)

٤١٨- ومجلسُ شورى المسلمينَ قرارُهُ

---

(١) براءة : سورة براءة أو التوبة . بنودها : عناصرها وموادها المفردة بند .

جَمِيعُ جُيُوشِ الحَقِّ تُعْلِي بُنُودَها(1)

٤١٩- يُقاتِلُ كُلُّ المُسْلِمِينَ عَدُوَّهُمْ
وأَهْلُ صَلِيبِيٍّ قَدْ أَبانَتْ حُقُودَها

٤٢٠- وذِي أُمَّةُ الإِسْلامِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ
تَجِدُّ صَلاحَ الدِّينِ لاحَ تَمِيدَها

٤٢١- وكُلٌّ بِفَضْلِ اللهِ يَعْرِفُ دَرْبَهُ
وأُمَّةُ خَيْرِ الخَلْقِ نُبْدِي جُهُودَها

٤٢٢- وغايَتُها تَحْرِيرُ أَقْصَى ومَسْجِدٍ
وقِيمَةُ نَصْرٍ أَنْ نُقَدِّمَ جِيدَها

٤٢٣- جَمِيعُ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ لَقَدْ أَتَتْ
أَلا إِنَّها فِي السَّاحِ تَنْبَحُ صِيدَها

٤٢٤- وكُلٌّ على عِلْمٍ بِما هُوَ فاعِلٌ

(1) بنودها: رايتها، المفرد بند.

وكلٌّ تمنّى أنْ يكونَ شهيدها

٤٢٥- جميعُهم باعوا المليكَ نفوسَهم

وذيكَ بيعٌ كانَ خيرَ سعيدها

٤٢٦- وإنّا جميعًا في انتظارِ أوامرٍ

تجيءُ منَ الضّرغامِ قد أمّ بيدها

٤٢٧- أبي فارسُ الإسلامِ ذاكَ صلاحُنا

أبي قادَ جيشًا حينَ أمّ عنيدها

٤٢٨- ألا إنّما أرناطُ أكبرُ حاقدٍ

على دينِ ربّ العرشِ يهدي رشيدها

يدخلُ جنديّ:

٤٢٩- أيا سيّدي قد كانَ جاءَ بريدُ

يقولُ أنا ملكَ البلادِ أريدُ

٤٣٠- أبوهُ صلاحُ الدّينِ أدّى رسالةً

وقالَ بِكَفِّ ابْنِي نَجِيءُ بَرِيدُ

الملك الأفضل :

٤٣١ - أَلا دَعْهُ يَأْتِي

ساعي البريد :

إِنِّي أَنا خادِمُ

وإِنِّي بِحَمْلِ البَرِيدِ سَعِيدُ

٤٣٢ - أَبُوكُمْ دَعانِي كَيْ أُسَلِّمَها لَكُمْ

وشاءَ جَواباً بِالوُصُولِ يُفِيدُ

الملك الأفضل يقرأ الرسالة :

٤٣٣ - أَيا كاتِباً بَلِّغْ أَبِي بِوُصُولِها

وَبَلِّغْهُ إِنّا عَزْمُنا لَشَدِيدُ

٤٣٤ - وَمَجْلِسُ حَرْبٍ إِنَّنِي أَنا عاقِدٌ

لِيُدْرِكَ رَأْيًا جاءَ وَهْوَ سَدِيدُ

المشهد الثاني:
مجلس حرب الملك الأفضل:
الملك الأفضل يقرأ رسالة صلاح الدين:

٤٣٥- إبن وليّ العهد يا أفضل
إنّ على الكرك أنا أنزل

٤٣٦- من فضل ربّ العرش ذا جيشنا
يهزم أعداءه ثم زلزلوا

٤٣٧- كان الملتى من بعد حربهم
أنّ بحصن الكرك من يدخل

٤٣٨- لكنّه الخصم أتى بابه
إنّ مجيء الباب ذا أسهل

٤٣٩- والباب قد أشبه بالوعة
منه أتى جيش لهم يخذل

٤٤٠- بالوعة تجهل ملء ما لها

لَكِنْ بِأَقْرَامٍ هِيَ الْمَدْخَلُ

٤٤١ - قَدْ أَغْلَقُوا بَابَهُمْ خَلْفَهُمْ

وَجِئْتُ بِالرُّمْحِ الَّذِي يَعْسِلُ (١)

٤٤٢ - إِنَّا تَرَسَّتُ الرُّمْحَ فِي بَابِهِمْ

سِنَانُ رُمْحِي إِنَّهُ مِشْعَلُ

٤٤٣ - قَدْ بَقِيَ الْأَعْدَاءُ فِي حِصْنِهِمْ

هُمْ جَرَادٌ بَلْ هُمُ قُمَّلُ

٤٤٤ - ذَا بَابُ حِصْنٍ قَدْ بَدَا مُحْكَمًا

وَهَامَ وَالْقُفْلُ لَهُ يَعْزِلُ

٤٤٥ - وَيَحْتَلُ الْخَصْمُ كِفَاحَ الْوَغَى

لَمَّا عَلَا أَسًّا لَهُ فَيْصَلُ (٢)

---

(١) يعسل، بكسر السين: يضطرب.

(٢) الوغى: الحرب. فيصل: حسام قاطع.

٤٤٦- وَيُتْقِنُ الفَرَّ بِساحِ الوَغَى
فَرَّ نَعامٍ خافَ ما يُقْتَلُ

٤٤٧- والبابُ إِنْ أُغْلِقَهُ مُحْكَمٌ
لَكِنْ سِهامٌ لَهُمُ تُرْسَلُ

٤٤٨- أَذى سِهامُ القَوْمِ أَمْ صَيِّبٌ
أَمْ بَرَدٌ مِنَ القَطْرِ إِذْ يَهْطِلُ (١)

٤٤٩- تِلْكَ صُخُورٌ أَمْ أَذًى يُرْسَلُ
كُلٌّ إِلَيْنا صَخْرَةٌ تُرْسِلُ

٤٥٠- سِهامُهُمْ فِي السِّتِّ مَغْمُوسَةٌ
والنّارِ دَوْمًا إِنَّها تُشْعَلُ

٤٥١- حِجارَةٌ تَقْذِفُ أَيْدِيهِمُ
أَوْ مَنْجَنِيقٌ بِالأَذى يُنْزِلُ

---

(١) يهطل، بكسر الطاء: يتتابع ويتفرق ويعظم قطره.

٤٥١- طالَ حِصارُ الخَصْمِ في حِصْنِهِ

وعِنْدَهُ الماءُ وما يأْكُلُ

٤٥٢- وحَيْثُ رَأْيُكِ إِيَّانا أَذَى

مِنْهُ لِهذا إِنَّنا أُهْمِلُ

٤٥٣- ولَمْ يَجِسْهُ أَهْلُ صَلِيبٍ لَهُ

فَقَدْ بَدا مِنْهُمْ لَنا مَقْتَلُ

٤٥٥- وقَصْدِيَ اليَوْمَ أَيا أَفْضَلُ

أَنْ لَهُمْ في السّاحِ مَنْ يُنْزِلُ

٤٥٦- أَهْلُ صَلِيبٍ يَنْبَغِي جَسُّهُمْ

مِنْ حُصْنِ عَكّا إِنَّها مَنْزِلُ

٤٥٧- أُرِيدُكُمْ يا ابْنِ أَيا أَفْضَلُ

أَنْ تَبْعَثُوا بَعْثًا بِهِمْ يَشْغَلُ

٤٥٨- يَمْضِي إِلى عَكّا وجِيرانِها

خواطِرِ البَحْرِ الَّتي تُسْحِلُ (١)

٤٥٩ - تَرَى يَأْتِي الخَصْمُ إلى بَرِّنا

لِنَفْرَقَ إذْ يُنْجِدُ أَوْ يُسْهِلُ

٤٦٠ - أَأَنْتُمْ إلى البَرِّ تُجيشُونَهُ

ونَحْنُ ذاتَ الشَّيْءِ مَنْ يَفْعَلُ (٢)

٤٦١ - بِإِذْنِ رَبِّ العَرْشِ في بَرِّنا

نَفْعَلُ ما خَصْمُهُ بِهِ يُذْهَلُ

٤٦٢ - أَقُولُ لِجَيْشِي قَدْ قَرَأْتُ رِسالَةً

بِها مِنْ صَلاحِ الدِّينِ جاءَ بَرِيدُ

مُظَفَّرُ الدِّينِ كَوْكَبُرِي (٣)

٤٦٣ ونَحْنُ عَلِمْنا ما عَلَيْهِ تَضَمَّنَتْ

---

(١) تُسْحِلُ : تقع على الساحل.

(٢) تُجيشونه : ترغمونه على المجيء، وتلجئونه.

(٣) انظر في ضبط اسمه كتاب الروضتين ٣/٢٧٦ وهو صاحب حرّان.

وما شاءَ مِنّا أنْ يَقُومَ تَمَرُّدُ

الملك الأفضل:

٤٦٤- ويَلْزَمُنا فَوْراً نُنَفِّذُ أمْرَهُ

فَمَنْ مِنْكُمُ لِلْبَعْثِ سوف يَقُودُ

جميع القوّاد يرفعون أيديهم استعداداً لقيادة البعث. ويقف بينهم

مظفّر الدّين كُوكُبُري:

٤٦٥- مُظَفَّرُ الدّينِ أنا كُوكُبْرِي

إنْ سَمِعْتُ القَوْلَ مِنّي لِلأَمْرِ

٤٦٦- صَلاحُ دِينٍ إنّهُ في حَرْبِ

مَعَ العِدى في شَوْبَكٍ وضَرْبِ

٤٦٧- والخَصْمُ في شَوْبَكَ والكَرَكِ مَعا

يَنْدَسُّ في جُحْرٍ ويُخْلِي مَوْقِعا

٤٦٨- كُلٌّ مِنَ الحِصْنَيْنِ جُحْرُ الضَّبِّ

والضَّبُّ دَوْمًا مُعْرِضَةٌ لِلنَّهْبِ

٤٦٩- يَحْتاجُ ضَبٌّ مِنْكَ لِانْتِظارِ

لَكِنْ صَلاحُ الدِّينِ لَيْثُ صَبارِ

٤٧٠- قَصْدُ صَلاحٍ أَنْ يَجُرَّ الخَصْما

لِلْبَرِّ كَيْ يَغْرِسَ فِيهِ السَّهْما

٤٧١- مِنَ الدَّرَكِ والشَّوْبَكِ هذا خَصْمُ

مِنَ البُحَيْرَةِ حَطَّ عَلَيْهِ الغَمُّ

٤٧٢- ولَمْ يَجِدْ عَوْنًا لَهُ مِنْ عَكّا

لِأَجْلِ ما قَدْ كانَ بَكَّ بَكّا (١)

٤٧٣- والخَصْمُ مِنْ عَكّا يُبَكُّ بَكّا

كَأَنَّهُ بِالسَّيْفِ بُكَّ صَكّا

---

(١) بكّ بكّا: دقّ رقبته دقّا. وسمّيت مكّة بكّة لأنّها تدقّ أعناق الجبابرة.

٤٧٤ - قَصْدُ صَلاحٍ أَنْ نَجِسَ تَعَكَّا

وَنُخْرِجَ الخَصْمَ بِها قد عَكَّا (١)

٤٧٥ - نَحْنُ هُنا نَجِيئُهُ مِن بَحْرِ

وذا صَلاحٌ جاءَهُ مِن بَرِّ

٤٧٦ - كَيْ يَخْرُجَ الخَصْمُ إلى البَرارِي

حَتّى تَقُومَ الحَرْبُ في الصَّحارِي

٤٧٧ - إنّي أنا المُظَفَّرُ الكوكُبِيّ

قَصْدِي أَكُونُ قائِداً لِلْمَجْبِ (٢)

٤٧٨ - فَرُبَّما قد نِلْتُ لِلشَّهادَهْ

مِنْ نالَها قد أَدْرَكَ السَّعادَهْ

٤٧٩ - فَكَيْفَ إنْ قِيلَ هو الشَّهِيدُ

---

(١) عَكَّ : أقام واحتبس وتبلّد.
(٢) المجب : الجيش الضخم.

قد نالها من الجيش إذ يقود

الملك الأفضل :

٤٨٠ - يُسايِرُ الغَضَنْفَرَ الكُوكُبْرِي

إخوانُهُ كُلٌّ بِمُهْرٍ بَحْرِي (١)

٤٨١ - فَوْرًا أنا مَنْ يُصْدِرُ الأوامِرا

حَتَّى يُرَى البَعْثُ بِهِ سائِرا

(١) المُهْر : الحِصان.

المشبهة الثالث.

البعث على الخيل يتجه إلى عكا:

مظفر الدين كوكبري:

٤٨٢ - إنّي أنا الكوكبري والمظفّر

أقود بعثًا كلّه يزمجر (١)

جندي:

٤٨٣ - إنّ الأسود رائمًا لتغضب

لهذا تُرى في كلّ أرضٍ تضرب

المظفر:

٤٨٤ - لا يعرف التلبّث سوى إلى قدام

وكلّ ذا من شدّة العزائم (٢)

جندي:

---

(١) الكوكبر: الكوكوبري.

(٢) العزائم: النشاط والحيوية.

٤٨٥ - كُلُّ مِنَ الْجُنْدِ حِزْبٌ يَعْدُو

وَقَصْدُهُ خَصْمٌ خَوَاهُ بُعْدُ

المظفّر :

٤٨٦ - الخَصْمُ مَن عَطَّ بِشَطِّ البَحْرِ

كَلِنَّهُ مِنْ جُبْنِهِ مِن أَسْرِ

جندي :

٤٨٧ - هذا مَلاَحٌ قَدْ أَتَى بِكَرْكِ

وَشَوْبَكٍ وَالخَصْمُ عَنْهُ يَعْكِي

المظفّر :

٤٨٨ - مَا غَادَرَ الخَصْمُ بِكَرْكٍ جُحْرَا

وَذَا مَلاَحٌ كَانَ قَادَ بَحْرَا

جندي :

٤٨٩ - لَمْ يَبْقَ لِلْخَصْمِ بَنَاتَا حِيلَهْ

لَكِنَّهُ أَعْلا لَنا عَوِيلَهْ

المظفر:

٤٩٠ - ما قَدَّمَ الخَصْمُ لِكَرْكٍ عَوْنا

وشَوْبَكٍ إِنْ كانَ لاقَى أَيْنا (١)

جندي:

٤٩١ - بِأَجْلِ ذُلٍّ راحَ فِيهِ الخَصْمُ

يَدْعُو صَلاحَ بَعْثِ بَيْسَمُو

المظفر:

٤٩٢ - وأَنْ يَقُومَ خَصْمَنا إِذْ يَقْعُدُ

فِي جُحْرِهِ وحَيْثُ رَوْعًا يَرْقُدُ

جندي:

٤٩٣ - كَيْ يَتْرُكَ الجُحْرَ الَّذِي اسْتَهْواهُ

---

(١) الأين: شدة التعب.

نِلْمَوْتِ فِي السَّاحِ وَقَدْ نَادَاهُ

المظفر:

٤٩٤ - إِنِّي أَنَا الْمُظَفَّرُ الْكُوكُبِيُّ
أَقُودُ مَنْ نِلْمَوْتِ دَوْمًا يَسْرِي

جندي:

٤٩٥ - مَقْصِدُنَا أَنْ نَحْمِلَ الْأَعَادِي
عَلَى خُرُوجٍ مِنْ جُحُورِ الْوَادِي

المظفر:

٤٩٦ - إِنِّي أُمَّةُ الْإِسْلَامِ تَنْوِي حَرْبَا
مَعَ الْأَعَادِي كَيْ تَذُوقَ ضَرْبَا

جندي:

٤٩٧ - وَالْمَجْلِسُ الشُّورَى ارْتَأَى ضَرُوسَا
حَتَّى يَعُودَ خَصْمُنَا مَهْرُوسَا

المظفّر :

٤٩٨- ذا بَعْثُنا قد كان لاحَ الغَمّا

والطَّعْمُ من شَرْقٍ وغَرْبٍ عَمّا

جندي :

٤٩٩- صَلاحُنا من كَرَتٍ يُحارِبُ

ونَحْنُ مِنْ عَكا لَمَنْ يُقارِبُ

المُظَفَّر :

٥٠٠- مِنْ فَضْلِ رَبّي إنّها صَفُّورِيَهْ

ذي بِنْتُ عَطّا إنّها جُعَيْرِيَهْ

٥٠١- صَفُّورِيَهْ ذي جارِيَهْ

مِياضُها ذي جارِيَهْ

جندي :

٥٠٢- ونَبْتُها ذا رائِعٌ

وذي الزروع حانيه

المظفر:

٥٠٣ - أشجارها ذي عاليه

وذي الثمار دانيه

جندي:

٥٠٤ - ونحن قد جئنا لها

على الخيول العاديه

المظفر:

٥٠٥ - ذي شمسها ذي زاهيه

وذي النهار حاميه

جندي:

٥٠٦ - ولا نبالي حرها

إنا بها وفي عافيه

المظفر:

٥٠٧ - حَتَّى لَظَى أَقْوَمُ لِذَا
فِي الشَّمْسُ تَبْقَى وَاقِيَهْ(١)

جندي:

٥٠٨ - بِيضٍ بِنَا أَنْفُسَنَا
أَنْفُسُنَا فِي غَالِيَكْ

المظفر:

٥٠٩ - يَكْفِيهَا لِرَبِّنَا
رَخِيصَةٌ فِي عَارِيَكْ

جندي:

٥١٠ - إِنَّا بِفَضْلِ رَبِّنَا
لَسْنَا نُبَالِي النَّاهِيَهْ

---

(١) لظى: جهنم.

المظفر:

٥١١ - نَمْشِي عَلَى تَعْبِئَةٍ

فَالحَرْبُ بَعْدَ ثَانِيَهْ

جندي:

٥١٢ - وَقَدْ يَحِينُ وَقْتُهَا

فِي لَيْلَةٍ أَوْ تَالِيَهْ

المظفر:

٥١٣ - الحَرْبُ رَوْمَا حُرَّةٌ

الحَرْبُ لَيْسَتْ جَارِيَهْ

جندي:

٥١٤ - وَقَدْ تَهِيجُ فَجْأَةً

لِرِيحِهَا المُوَاتِيَهْ

المظفر:

٥١٥ - وقد تراءى لها فجأة

إذا أتت من ناحية

يلمح مظفر الدين كوكبرى كتيبة صليبية :

٥١٦ - يا جُنْدَ أحمدَ هذا الخصمُ قد ظهرا

وقد علاهُ صليبٌ يحملُ النُّذُرا

٥١٧ - وقد علمنا بفضلِ اللهِ رايتنا

وذا اسمُ بارئِنا فيها لقد بهرا

٥١٨ - واسمُ الحبيبِ رسولِ اللهِ سيِّدِنا

محمدٍ جنبهُ قد أشبهَ القمرا

٥١٩ - اللهُ قرَّبَ منا الخصمَ نطلبهُ

إذا قضى اللهُ أمراً جاءَ إذ سفرا

٥٢٠ - كانَ المرادُ بعثكا أنْ نقابلهُ

لكِنْ أتانا وهذا اللهُ قد قدرا (١)

٥٢١ - الخصمُ يقطعُ من دَرْبٍ لهُ سَفَرا

ونحنُ نقطعُ من دَرْبٍ لنا سَفَرا

٥٢٢ - شاءَ المليكُ سريعاً أنْ نُقابِلَهُ

في شهرِ خيرٍ وذا يدعونهُ صَفَرا (٢)

---

(١) قد قدر: قد حكم الله تعالى به وقضاه.

(٢) كانت معركة صفورية من آخر يوم من شهر صفر الخير سنة ٥٨٣ هـ الكامل من التاريخ ١١/ ٥٣١.

المشهد الرابع

سهل صفوري:

مظفر الدين كوكبري:

٥٤٣ - بفضل مليك العرش ينلنا انتصارنا
على الخصم من يقوم يشيب وليده

قائد:

٥٤٤ - ومن فضل رب العرش ذي الحرب شعلة
من الوقت فيه الفوز للحق محمودة

المظفر:

٥٤٥ - ومنذ رأينا الخصم تعرف دورنا
وكل له رحت تماما حذوذه

قائد:

٥٤٦ - ومنذ بدأنا السير نعمل جدوا

وكلٌّ بهذا اليوم يشتدُّ عودُه

المظفر:

٥٢٧ - وثمنٌ نريدُ السنةَ في كلِّ فعلِنا

وفي الحربِ رضوانُ المليكِ نريدُه

قائد:

٥٢٨ - وكلٌّ لبيسعى كريمٌ ينالَ شهادةً

ومن نالها في الحربِ فاليومَ عيدُه

المظفر:

٥٢٩ - وسعيُ يراكِ الشهادةَ باعثٌ

على نيلِ نصرٍ باتَ تعلو وجودُه

قائد:

٥٣٠ - ومن قد نواها دائماً فهو مقدمٌ

على كلِّ وبلٍ إنه لطالَ جيدُه

المظفر :

٥٣١ - وَلَيْسَ يُبالِي مَنْ أَرادَ شَهادَةً

إِذا كانَ في المَيْدانِ قُصَّ وَرِيدُهُ

قائد :

٥٣٢ - فَكَيْفَ يُبالِي بِالَّذِي هُوَ دُونَهُ

وَنَيْلُ ثَوابٍ وَقْفَ فِعْلٍ يُجِيدُهُ

المظفر :

٥٣٣ - وَنَحْنُ بِهذا اليَوْمِ نَبْذُلُ جُهْدَنا

وَكُلٌّ بِهذا اليَوْمِ تَسْمُو جُهُودُهُ

قائد :

٥٣٤ - وَكُلٌّ حَرِيصٌ أَنْ يَنالَ شَهادَةً

وَمَنْ لَمْ يَنَلْها ذاكَ نَصْرٌ يُفِيدُهُ

المظفر :

٥٣٥ - وَمِنْذُ الْتَقَيْنَا كَانَ لِلسَّيْفِ دَوْرُهُ
وَلِلسَّيْفِ أَبْطَالٌ دَوَامًا جُنُودُهُ

قائد :

٥٣٦ - وَتَضْرِبُ بِالسَّيْفِ الْحُسَامِ عَدُوَّهَا
وَمِنْ فَجْرِهِ ضُمَّتْ عَلَيْهِ لُحُودُهُ

المظفر :

٥٣٧ - وَقَابَلَنَا ذَا الْيَوْمَ حَقًّا فَزُهُودُهُ
وَنَحْنُ بِفَضْلِ اللهِ دَوْمًا أُسُودُهُ

قائد :

٥٣٨ - إِذَا مَا ابْتَدَأْنَا بِالْحُسَامِ قِتَالَنَا
فَإِنَّ عَدُوًّا بِالْحُسَامِ يُذُودُهُ

المظفر :

٥٣٩ - كِلَانَا بِسَاحِ الْحَرْبِ جَرَّدَ سَيْفَهُ

وزيت سيف جوانه صنوذه

قائد:

٥٤٠ - وكل لحد السيف يصبر طامعا

بنصر لذا قد طال منه وعيده

المظفر:

٥٤١ - وفرقة رضبان بجيشنا عدونا

تقاتلنا كل يصح وجوده

قائد:

٥٤٢ - وكل تبدى من يريد وغاته

تساوى بهذا قائد ومقوده

المظفر:

٥٤٣ - وفرقة رضبان لأشجع فرقة

بساح قتال طال فيه مديده

قائد :

٥٤٤ - ولسنا نرى عنداً لرضبان خصمنا

بجيش عدوّ كان زاد عديده

المظفّر :

٥٤٥ - ونحن أناس أكرم الله حيثما

نوظف دين الله زادت سعوده

قائد :

٥٤٦ - بفضل خليك العرش قد كان بذلنا

بأرواحنا مهراً لنصر نصيره

المظفر :

٥٤٧ - إذا جاد رضبان بأرواحهم لنا

فإنا لبحر الموت نوماً نروده

قائد :

٥٤٨ - وَمُنْذُ ٱلْتَقَيْنَا قَامَ سَيْفٌ بِوَاجِبٍ
وَبِٱلسَّيْفِ دَوْمًا دَوْلَةٌ وَفَرِيدَةٌ

ٱلْمُظَفَّر:

٥٤٩ - هُمُ قَتَلُوا مَنْ نَالَ مِنَّا شَهَادَةً
وَنَحْنُ نَرُدُّ ٱلْكَيْلَ بَلْ وَنَزِيدُهُ

قَائِد:

٥٥٠ - جَمِيعُ صُنُوفِ ٱلْكَرِّ وَٱلْفَرِّ قَدْ أَتَوْا
وَنَحْنُ بِكُلٍّ مِنْهُمَا مَنْ يُجِيدُهُ

ٱلْمُظَفَّر:

٥٥١ - وَتَمَّا تَبَدَّى ٱلضَّعْفُ عِنْدَ عَدُوِّنَا
وَأَبْعَدَ عَنَّا جَادَ بِٱلرُّمْحِ عُودُهُ

قَائِد:

٥٥٢ - وَإِنْ أَمْعَنُوا فِي ٱلْبُعْدِ كَانَتْ سِهَامُنَا

تُطارِدُهُمْ ذا سَرْمَنا وطَرِيدُهُ

المظفّر:

٥٥٣ - وكانُوا رَأَوْا مَوْتًا زُؤامًا يَنالُهُمْ

ومِنْ كُلِّ جَمْعٍ كانَ ماتَ عَمِيدُهُ

قائد:

٥٥٤ - ولِلرّايَةِ البَيْضاءِ يَرْفَعُ خَصْمُنا

وذِيتَ تَرْكُ النِّزْلِ نالَ هَرِيدُهُ

المظفّر:

٥٥٥ - كَثِيرٌ مِنَ الأَمْداءِ عَنِ السّاحِ قُتِّلُوا

وكُلٌّ بِرُوحٍ كانَ قد صَحَّ جُودُهُ

قائد:

٥٥٦ - وقادَةُ رُصْبانٍ قَتَلْنا وبَعْضُهُمْ

تَدُلُّ على أَسْرٍ وذُلٍّ قُيُودُهُ